الزمان

الشاعر بسام صالح مهدي
يتحدث لـ (الزمان) عن حاجة الشعر إلى بيان

2009/01/20

بسام صالح مهدي يتحدث لـــ (الزمان) عن حاجة الشعر إلى بيان أسسنا حركة قصيدة الشعر تحت وطأة الحـــصار الأعمي.

حوار: نجاح العرسان

الشاعر بسام صالح مهدي/ عراقي مقيم في سورية. كان رئيساً لتحرير مجلة أشرعة التـــي تـــصدر عـــن رابطـــة الرصافة للشعر العربي. أصدر مجموعته الشعرية الأولى بعنوان (لا أعدُّ الهروب خيولاً) فـــي العـــراق ١٩٩٩ دار الشؤون الثقافية. ومجموعته الشعرية الثانية بعنوان (التفاتة القمر الأسمر) سورية ٢٠٠١ اتحاد الكتاب العـــرب. ومجموعته الشعرية الثالثة بعنوان (الماء يكذب) سورية ٢٠٠٧ اتحاد الكتاب العرب. وكتاب نقدي تنظيري بعنوان (حركة قصيدة الشعر) طبع في دار ينابيع ــ ط١ــ دمشق ٢٠٠٧م. يعاد طبعة في دار الرائي/ دمشق ــ ط٢. ولـــه مجموعة شعرية مخطوطة بعنوان (خطبةٌ موزونة) ومجموعة شعرية مخطوطة بعنوان (مَنْ السما).

وكتاب عن سيرة الشاعر مظفر النواب مخطوط نشرت منه حلقات في الصحف العربية. وكتاب عن الشاعر يوسف الصائغ بعنوان (مرآة ابن الريب) مخطوط نشرت منه حلقات في الصحف العربية.

فاز بجوائز ومسابقات أدبية في داخل العراق والوطن العربي منها مسابقة دار الشؤون الثقافيـــة ٢٠٠٠ المركـــز الأول في العراق، وجائزة أبو العلاء المعري المركز الأول سورية ٢٠٠٣م.

كان لنا معه هذا الحوار لنستوضح منه مضمون (حركة قصيدة الشعر) وهو أحد ممثليها البارزين.

*** كيف نشأت (حركة قصيدة الشعر) العراق؟**

ــ مجموعةٌ من الشعراء الشباب تَجَمَّعوا في الروابط التي أُنشئت في عَقد التسعينيات في (رابطة الشعراء الشباب) التي تَوَلَّدَت منها ــ فيما بعد ــ (رابطة الرصافة للشعر العربي) .

كان يَجْمَعهم هاجسُ التجديد، تَقارَبَتْ أفكارهم فَرسَموا تَوجُّهاً شعرياً نَما وتطوَّرَ عبر آراءٍ نقدية وتجارب ونصوص شعرية، ساهمَ أهم من في هذه الروابط في إنشاء المشروع، ولا يَنْفَرِدُ أحدٌ منا في أمرِ التنظير لها أو وجودها، كُنا عندما نَلتقي تَتوزع الآراء مُشافَهة في التنظير ونتجادل ونَتَفِقُ ونَخْتَلِفُ ونثبتُ ونَنفي وهكذا عبـــر أعـــوامٍ تَأصَّـــل المشروع وبانت ملامِحهُ.

ومن أوائلِ مَن وَضَعوا بَصماتِهم في التنظير لـ (قصيدة الشعر) مُضر الآلوسي ومحمد البغدادي و ـ أنت ـ نجاح العرسان وعارف الساعدي ومهدي راضي والمرحوم رشيد حميد الدليمي وفائز الشرع و ـ أنا ـ وحتى أحمد سعداوي الذي كان لا يوافق المشروع، لأنَّهُ كان يكتبُ ويناصرُ قَصيدة النثرِ إلا أن آراءه كانت مهمةً لنا جداً إذ كان يمثل الطرف الثاني من المعادلة، وهو بثقافتهِ الجيدة كان دائماً يَمدنا بالآراء المفيدة. وكان أغلبُ الشعراء يُفَضِّلون أنْ يُدلو بآرائهم مُشافهةً وعبر لقاءاتٍ و حواراتٍ مُتعاقبة؛ والسبب أنهم كانوا يَعْتَدُّون بصفة (شاعر) ولا يريدون أن تُلْصَقَ بهم صفةُ (ناقد) لذلك كانوا يفضلون المشافهة على الكتابة النقدية. وفيما بعد تَمَّ توزيع الأدوار بشكلٍ مُنظمٍ بين المساهمين في إنضاج المشروع، وأُقِرَّ أن يُنادي بالمشروع على الملأ ولأنني كنتُ قد تَعَرَّضتُ لحادثٍ ورَقَدتُ مَريضاً في البيت، اجتمع الأصدقاء في بيتي وتباحثنا فكرةَ تَقسيمِ الأدوار والظهور في حوارٍ دَعانا إليهِ الصحفي ناظم السعود في جريدة المصور الأسبوعية، وكان تنظيرنا قد نَضَجَ ـ تقريباً ـ عبر لقاءات كثيرة جمعتنا في الرابطة.

أُعلِنَ عن المشروع في هذا الحوار وأثار رُدوداً عديدة بعضها يُخالِف ما نَدعو إليه وبعضها شدَّ على عَضدِنا. اتسعَ بعدها عدد الشعراء المُشاركين في الروابط وَوَفَدت أسماءٌ جديدة، وأقيمت المُلتَقيات، منها ملتقى الأجيال الشعري الذي أقامته (رابطة الشعراء الشباب) وملتقى الرصافة الشعري السنوي الذي تُنظِمهُ (رابطة الرصافة للشعر العربي).

وأصدَرنا مَجلة (أشرعة) التي حَملت عِبء المشروع ... أشرَعة كانت ثقباً نَستَنشِقُ منهُ الهواء النقي، ويدخلُ منهُ ضوءٌ شَريف إلى قَبْوِ الحِصار والقَمع. ومع الأسف وضع بعضهم بصماتهِ الوسخة في بعض أعدادها محاولاً أن يلوثها.

ومنذ أول عددٍ طُرِحت نصوص تُمَثِلُ المَشروع ـ منها نَصٌّ لكَ يا نجاح ـ والحقيقة أنّ ما كان يُنشرُ فيها من قصائد أهَمُّ بكثيرٍ من الدراسات النقدية والسببُ بسيط، فمن أين للناقد أن يَستَقي أفكارهُ ويبرهن عليها بالشواهد؟ إذا لم تكن ثمة نصوص أُقرَتْ عبر مداولاتنا في لقاءاتنا الأسبوعية على أنها من (قصيدة الشعر). تَوسَّع التنظير واحتَضَنَتْ مجلة (أشرعة) جميع المشارب والتنوعات النصية في الشعر العراقي التسعيني والثمانيني ولا يخلو عدد منها ـ على الرغم من تَوَجهها نحو (قصيدة الشعر) ـ من قصيدة النثر ومن دراسات نقدية ضدَّ ما نَدعو إليه، لم نَكُنْ نَتَشَدَّدُ للمشروعِ ونزاول حَجْبَ الأصوات المُعترضة عَلينا، بل كُنا نُرَحِب بالآخر الذي يُخالِفنا ونَستَمدُّ منه كل ما يُقَوِّمُ مَشروعنا.

قصيدة الشعر

* ما ضرورة صدور بيان (قصيدة الشعر) الذي وقع في تموز عام ٢٠٠٢ في بغداد.

ـ الشعر في كل العصور يحتاجُ إلى بيانٍ يُظهر رؤية الشاعر التي يتعاملُ بها مع النصِّ، انظر الشعر العربي القديم تَجد أن الشعراء يذكرون آراءهم وطرائق اشتغالهم ضمن قصائدهم، فمنذ ((هل غادر الشعراء)) لعنترة، مروراً بـ

((حَمَّلتُمونا حدودَ مَنطِقكم والشعر يُغني عن صدقهِ كَذِبه)) للبحتري. وما خَلَّفَهُ (أبو تمام) من أبيات تعدُّ بياناً شعرياً منظوماً، يثبتُ فيه نظريته الشعرية، وقد عَدَّ أدونيس أبياتاً لأبي نواس بياناً شعرياً بقوله:

غير أني قائلٌ ما أتاني من ظنوني، مكذب للعيانِ

آخذٌ نفسي بتأليف شيء واحدٍ في اللفظ شتي المعاني

هذه الأبيات وغيرها الكثير هي بيانات شعرية أَشَّرَتْ تَحولات الكتابة الشعرية في الشعر القديم، وفي عصرنا الحديث. كَثُرَت البيانات الشعرية وهي معروفة ومتداولة.

وبيان (قصيدة الشعر) هو إعلان عن نشوءِ حركةٍ شعرية عربية، كانت شَرارَتُها الأولى في العراق، فكيف تريدنا أن نوصل أفكارنا إلى الناس؟ كيف سيتَعرَّفون على سماتها الفنية من دون بيان؟ هذه أولى الضرورات، أما الضرورات الأخرى فإن البيان يَعرِضُ في أولهِ السلبيات السائدة في الشعر العربي المعاصر، مع ما أحدثهُ الصمتُ عنها أو الترويج لها، ثم يحددُ البيان بكلِّ أمانةٍ وصدق حدود النصِّ الذي يُنسبُ إلى (قصيدة الشعر)... وحتى الشعراء الذين وَقَّعوا على هذا البيان ــ وأنتَ واحد مِنهم ــ يَعتَرِفون بأن (قصيدة الشعر) تَتَجَلَّى في نصوص مُعَيَّنةٍ من شِعرهم لا في كلِّ ما يكتبون.

*بعضهم يدعي أنَّهُ هو من صَاغَ المَشروع ووضعَ المصطلح وصنع التنظير؟

ــ أشرتُ سابقاً أن جميعَ الشعراء ساهموا في المشروع وليس لأحدٍ التَّفَرّدُ بِصياغته، أما عن المصطلحِ فقد بيَّنا مَصدرهُ في البيان في فقرة: (قصيدة الشعر المصطلح والمفهوم / دواعي استدعاء المصطلح) وأتينا على التفصيل في كتاب (حركة قصيدة الشعر).

إنَّ هذا المصطلح قُمنا بِتَرْحِيلِهِ وهو مصطلح تمَّ تَداولهُ بينَ النقاد العرب والأجانبِ أيضاً للدلالة على ما هو مَوزون فقط. ومن النقاد الذين استخدموا مصطلح (قصيدة الشعر): الدكتور على عباس عَلوان في كتاب (تطور الشعر العراقي الحديث) والدكتور على جعفر العلاق في كتاب (حداثة النص الشعري) و الدكتور صلاح فَضل في كتاب (النظرية البنائية) والدكتور جابر عصفور في مجلة العربي في أكثر من مقالة أذكر إحداها: (قصيدة الشعر: عندما تتفكك صورها وتتناقض معانيها) وفاروق شوشه في المجلة نفسها و سوزان بيرنار في كتاب (قصيدة النثر) ترجمة سعيد مغامس، ومصطفى خضر في (الشعر والهوية) وآخرون؛ حتى أن نزار قباني في قصيدة (قارئة الفنجان) التي يُغَنِّيها عبد الحليم حافظ يقول: ((يا من صوَّرتَ لي الدنيا كقصيدة شعر ... و زَرعتَ جِراحكَ في صَدري وأقمتَ الصبر)).

هل بعد هذا يمكنُ أن يقول شَخص ما: إنَّهُ هو من أخترع أو أبتكر أو صنع المصطلح، وإذا قال من قال إنَّه قد رَحَّلَهُ ــ مثلما نقول ــ فهل له وثيقة مَنشُورة أشار فيها أنَّه قامَ بِتَرحِيلِ المصطلح، أنا واثقٌ أنَّه لا يوجد دليلٌ لدى من يدعى كائناً من كان؟؟.

*كتاب (حركة قصيدة الشعر) الذي أنجزتَهُ ماذا طَرحتَ فيه، وهل يتناول نقدَ النصوص تطبيقياً؟

ــ لم يتناول الكتاب نقد نصوص (قصيدة الشعر) تَطبيقياً فقد أرجأتهُ إلى كتاب آخر قَيد الإنجاز، وكتاب(حركة قصيدة الشعر) كتابٌ تَنظيري يُجيبُ على جميع الأسئلة، ويؤسسُ بشكل صحيحٍ لكلِّ آرائنا، وفيه ما لم يَسبق قولهُ في هذا المشروع، والإطلاع عليه يُغني عن الكلام عنه.

* بماذا تُفَسَّر توجهَ الشعراء إلى كتابة القصيدة الحديثة بإطار كلاسيكي، أو بالأصح ضمن المحددات الخليلية .. وأنت واحد منهم؟

-هناك خطأ شائع؛ دائماً يتمُّ تَحويل المذاهب الأدبية إلى هيئات وأُطُرٍ وأشكال، بينما هي مَذاهِبٌ فَنية تُعنى بالمضمون والسياق والخطاب والبُنية الفنية، فهل كانت ثورة الرومانسية على الكلاسيكية ثورة على الوزن؟ إنها قَدَّمت خطاباً فَنياً جديداً مُغايراً للخطاب السائد... وثمة خطأ آخر، هو النظرُ إلى كل ما هو قديم على أنّه كلاسيكي، لذلك ينظرُ إلى الوزن على أنه من صنعِ الأوائل وأنَّه قديم؛ وهو بحسبِ هذه النظرة الخاطئة التي تظن: أن كل قديم هو كلاسيكي وأن الوزن هو نِتاجٌ قَديم فهو كلاسيكي ويجبُ على الشاعر المُجدد أن يَتركه ولا يتعامل به! . إن فحصَ الآراء الشائعة وتَشخيص أمراضِها ومُعالجتها أمرٌ في غاية الأهمية، لأن تركها يعني تَحوّلها إلى قواعد ثابتة في الوعي الجمعي. والحديث عن التجديد بإطار كلاسيكي حديث غير دقيق، فالوزن ليس إطاراً أو قالباً جاهزاً كما يتصوره بعضهم، إنه روح متدفقة تُحرك النص الشعري، إنّه أُلْفَة بين الإيقاع والدلالة، إنّه مُغايرٌ للقول السائد، والوزن مُتولدٌ في أصله من اللغة، إنه من مُنتجاتها الصوتية، إنه تولُّدَ منها، وهو شكلُ الدلالة الشعري؛ وعندما ضبطَ الخليل حدوده أصبح النقاد يَنْظِرون إليه - الوزن - على أنّه إيقاع من خارج اللغة، وذلك لأن تَجَسَّد الإيقاع في هيئة تفاعيل جَعلَ النظر يَتجهُ إلى الهيئة مُهملاً مَصدر الإيقاع الذي هو اللغة، فالوزن هو من مكونات اللغة وليس شيئاً خارجياً مضافاً إليها.

الدال والمدلول

* هاجس معظم الشعراء اليوم هو الاشتغال على تأرجح العلاقة بين الدال والمدلول لابتكار انزياحات تخلق صورة فنية جديدة، هل تشكِّل عندك هذه المسألة هاجساً؟

ــ الاشتغال الشعري حينما يكون مرتكزاً على بناء جملة شعرية جديدة، يستعينُ بعوامل عديدة منها تفاصيل الحياة اليومية لتوظيفها في صور جديدة، كما يمكن تصوير الفكرة بتحويل ما هو ذهني إلى ما هو حسي يمكن رؤيته في الخيال، فليس التعامل اللغوي البلاغي هو الوحيد الذي ينتج الصورة والدلالة الشعرية. كما أن الصورة الشعرية تشتغل في مجالات متعددة فقد تكون صورة حركية وقد تكون صورة ميتافيزيقية أو مشهدية أو ذهنية ... الخ، المهم أن يَتَشَرْنَق الإحساس داخلها، فتكون حارَّة مُشبَعَة بالحدس مُكتفية بذاتها أزلية، خارج الزمن وداخله، خارج المنطقِ وصانِعَة له، خارج المَعقول وهي مَعقول فوق الكينونة، وفوق الحلم وفوق الوجود.

*** يعترض بعضهم على مصطلح (قصيدة البيت) الفرع الأول من (قصيدة الشعر) ويراه مناقضاً للمصطلح الرئيس؟**

- اعتراضه مَردود، لا تناقض بين المصطلحين؛ وما وردَ في البيان لا لبس فيه ففي فقرة: (قصيدة البيت)و(قصيدة التفعيلة) بينا هذا .فمن جهة التحديد النوعي فإن البيت هو اللبنة الإيقاعية الأساس التي تُبنى بِتِكْرارِها القصيدة، وانظر إلى تعريف الفارابي: ((البيتُ هو القولُ الذي حُصِرَ بِوزنٍ تَام)) كتاب الموسيقى الكبير: ص ١٠٨٨. وكتاب عضوية الموسيقى في النص الشعري، يقول د.عبد الفتاح صالح نافع، البيت: ((هو الوحدة الموسيقية للقصيدة العربية)): ص٥٠، ط١، مكتبة المنار، ١٩٨٥م، الزرقاء. وكثيرة هي المصادر والآراء التي تدعم قولنا. فأين يَقَعُ اعتراض المُعْتَرِض؟

*** من هم أهم الشعراء الذين ترى أنهم يمثلون المشهد؟**

ــ كثيرون لا يسعني أن أحصي، ولكنني أشرت في كتابي (حركة قصيدة الشعر) إلى أسماء الشعراء الذين أجدهم يقتربون من نصِّ قصيدة الشعر.

جريدة (الزمان) الدولية - العدد ٣١٩٩ - التاريخ ٢٠٠٩/١/٢١